



مزاوي منان

تمضي السنوات بسرعة.. جيل يسلم الأمانة للجيل الذي يليه.. أصبحوا ماضيا.. كما أصبح الحاضر حاضرا.. أما المستقبل فيعلم الغيب.. ولكن يظل لكل زمان أهله وحكاياتهم التي نسجوها.. منها ما كانت البسمة عنوانه وأخرى صاحب الألم وبعضها عزفت بالحن المشاعر الإنسانية المتنوعة.. سلسلة جديدة من الحزاوي ستأخذنا أحيانا للزمن الماضي بكل عبقة الجميل، كما ستحط بنا الرحال في وقتنا الحاضر لنروي حكايات أشخاص حقيقيين ومن جنسيات متعددة.. منهم من رواها لي بنفسه والبعض، الآخر وصلني من المقربين منهم أو ممن عاصروهم.. حكايات متنوعة نستقي منها العبر والدروس التي لا تحصى.. ونظل الدنيا حكاية.

الأب المرزدوج

بقلم: حنان بدر الرومي
Hanan.alroumi@gmail.com



فتح الباب بالمفتاح ودخل وهو يجرد قدميه جرا.. ألقى بجسده المنهك على الكرسي.. وجهه شاحب وجسده مرتخ.. عيناه تائهتان في الفراغ الذي أمامه.. ماذا ينتظر؟ الساعة قاربت على الثالثة فجرا والصغار نائمون.. تساءل ماذا سيخبرهم عندما يستيقظون؟ انه عاجز عن النطق.. هل سيقول لصغاره ان الموت زار بيتهم واختار أهمهم الحنون.. يا الهي كم تبدو لنا الحياة كحلم جميل عاشه موسى وغرف من شاهده مع شريكة حياته ليوقظه الموت بعنف ويسحب معه بساط السعادة.. للحظات أحس موسى وكأنه يعاني من فقدان الذاكرة.. شعر وكأنه أصبح ممزقا لقطع متناثرة وانه عاجز تماما.. غلغلت مشاعر اللوعة والحزن فأجهش ببكاء وأثين.

...

طوال أيام العزاء كان الصغيران حمد وخالد يقفان بجانب أبيهما موسى وهما في حالة من الذهول والحزن.. كانا يتناوبان بالبكاء والجميع يجتهد لمواساتهما.. أما الأب فكان صامتا طوال الوقت بدا كمن سلبت روحه.. في البيت البارد من كل الأحاسيس الجميلة تساءل حمد ببراعة: أبي هل سيبقى مشاري وخواتي لدى جدتي للأبد.

سحب السؤال موسى من ظلمة أحزانه وأعادته قسرا للواقع.. أبنائه وصية المرحومة.. انهم خمسة أكبرهم حمد في العاشرة من العمر ويلييه خالد في التاسعة ثم غادة في السادسة وأخيرا التوأم نور ومشاري في الرابعة من العمر.. سهر طوال الليل، خنقته العبرات بفكر في الأمر استقر على أنه لابد من مواجهة قدره برضا وعليه أن يتدرب على النسيان حتى يقود مركب الأسرة الصغيرة لبر الأمان.. ان الحزن مكانه القلب ولكن الصغار لهم حق الحياة الآمنة في بيتهم ومع بعضهم البعض.. رفع يده للسماء وأخذ يدعو ويدعو ربه بخشوع وتوسل بان يمهده القادر العزيز بالصبر والعون ليكون الأب والأم لصغاره.

...

في الصباح الباكر يوقظ موسى الصغار وتبدأ معركة الاستعداد للمدارس.. حرص موسى على أن يكون طابع الصباح الابتسامة والفرقة فكان يغني أغاني الأطفال المحبوبة بصوت عال.. ويبدأهم بمرح مع توزيع الاختصاصات.. فحمد وخالد عليهما تجهيز السندويشات للمدرسة.. وغادة عليها التأكد من أن مظهر التوأم الذي تهتم به الشغالة مناسب.. كان موسى يعد الافطار للجميع بنفسه ويتابع ما يتناولونه.. كما كان يمسك قنينة العطر عند الباب ويرشها على ملابسهم قبل الخروج من المنزل، أما المتأخر منهم فعليه مسؤولية رمي كيس الزبالاة ظهرا.

اجتهد موسى في أن تكون قيادته لأسرته الصغيرة مزيجا من الشدة واللين والمرح والصرامة مع كثير من الحب والتشجيع والرعاية.. لم تكن حالته المالية تساعده لاستخدام أكثر من شغالة للمنزل فهو موظف عادي في وزارة الإسكان لذلك اكتفى بشغالة واحدة وهي التي كانت تعمل لديهم قبل وفاة زوجته.. ألقى الله محبة الصغار في قلب الشغالة فتعاملت معهم بلطف واجتهدت في عملها ورفضت ترك الأسرة.. قسم موسى الجدول بينهما فالشغالة تعد طعام الغداء ثلاثة أيام في الأسبوع وباقى الأيام للتنظيف والغسيل والكوي.. ويتحمل موسى مسؤولية إعداد الطعام باقي الأيام.. بمرور الوقت تفنن موسى بالمطبخ وأصبح بدرجة شيف عالمي.. أبدع بأعداد الأكلات الشعبية وأنواع الفطائر والسندويشات وكافة أنواع المخبوزات عدا الحلويات.. كان المطبخ هو مركز العائلة الرئيسي الأب يطبخ والأبناء الكبار يدرسون بجانبه والصغار يلعبون بالعجين أو بألعابهم.. حرص موسى على أن يستغل فرصة تواجدهم جميعا معه ليقوم بواجب التربية فيترك لهم المجال للحديث عن المدرسة والمعلمين والتلاميذ وشقاوتهم ثم يوجههم بهدوء ويحثهم على حسن الأخلاق كما كان يحدثهم عن دينهم وعن مجتمعهم الكويتي وتاريخه.. نجح موسى في تعليم أبنائه على تحمل المسؤولية فالكبار يعتنون بالصغار والبيت مسؤولية جماعية.. صحيح أن المنزل لم يكن مرتبا دائما ولكنه يدرك أن الفوضى جزء من حياة الصغار وبالذات الأولاد فلا مانع من قليل من الفوضى مادام أطفاله بصحة جسدية ونفسية.

...

رفض موسى كل محاولات والدته وإخوته لتزويجه، لم يقبل بتاتا أن يأتي بزوجة أب ليعال.. لم يشك يوما من المسؤولية ولم يتذمر من تغيير برنامج حياته.. كانت ابتسامته تصافح الجميع.. تداخل أدواره كاب و أم جعله أكثر هدوءا في المواقف وأكثر حكمة في الحل كما ازداد انضباطه الوظيفي وانجازته وأصبح من الأشخاص الموثوق بهم لدى الإدارة العليا وبمرور السنوات تدرج بالمناصب

حتى وصل لمنصب وكيل مساعد للوزارة.

...

لم تكن حياة موسى الأسرية مثالية بل كان يجتهد لتخطي صعوبات الحياة خاصة ان الأبناء شخصيات متعددة وبأعمار مختلفة، كان يعاني في البداية من التوتر والشك هل ينجح في مهمته.. لم يرغب في اشراك أهله بمسؤوليات بيته فالجميع لديهم انشغالاتهم والتربية عملية مستمرة ولها خصوصيتها.. كان يتخوف من أي أمر قد يعرض أبنائه لأي أذى نفسي ولو من أقرب الأقربين.. ولكن المسؤولية كبيرة وسبحان من يسخر خلقه.. أبدت جارتهم أم فاضل وهي الجارة المقربة من زوجته استعدادها للتعاون معه.. كانت أم فاضل سيدة مخضرمة واعية وحريصة حفيداتها بسن بنات موسى فكان يتركهن لديها اذا اضطر للخروج مع الأولاد.. كانت تتابعهن وتعنتي بهن بلطف فنالت حب البنات.

حرص موسى على أن يحتفظ في دوامه بنسخ مصورة لكتب أبنائه المدرسية لمراجعتها والاستفسار عن الغامض منها.. ساعدته كثيرا بهيئة سكرتيرة مدير الإدارة والتي كان اثنان من أبنائها بعمر أبناء موسى فكانا يتدارسان معا المنهج كما كانت تمدد ببذوك الأسئلة للمواد الدراسية والحلول.. وبحكم وظيفتها كانت بهيئة على دراية بأقسام الوزارة وموظفيها وتخصصاتهم فكانت تلجأ في بعض المواد العلمية لمتخصصين لشرح الغامض منها وتبلغ موسى بذلك وهكذا توسعت علاقات موسى مع أغلب موظفي الوزارة.. عاطفة الأمومة لدى بهيئة وصدقها جعلها تتواصل مع موسى حول محلات ملابس الفتيات ومواعيد التنزيلات وأماكن الترفيه المناسبة والأفلام السينمائية فأصبحت المستشارة والمرجع الدائم له خصوصا لفترات الأعياد والمناسبات.

...

مرت على الأسرة الصغيرة مواقف منها المؤلم ومنها الجميل ففي أحد الأيام رجع موسى من حفل عقد قران أحد أقربائه فوجد الجيران في الشارع المقابل للبيت وملاحم التوتر واضحة على أم فاضل وهي تسمح دموع ابنه حمد، نزل مسرعا من السيارة ليخبره الجيران بان التوأم مفقودان.. فقد خرج حمد وخالد للعب الكرة ونسيا باب البيت مفتوحا.. ركض موسى بفزع مخافة أن يتعرض صغيراه لخطر.. بحث في كل مكان حتى وجدهما جالسين على رصيف المدخل الجانبي للجمعية وبيد كل واحد منهما حلوى المصاصة.

في اليوم المفتوح للأمهات والتابع لمدارس الفتيات كان موسى يذهب بنفسه ولكن ادارات المدارس كانت ترفض دخوله رغم تعاطفهم مع وضعه.. كان ذلك محبطا للفتيات ولكن أم فاضل قبلت القيام بهذا الدور.

عندما يستدعي الوضع الصحي لأحد الأبناء البقاء في المستشفى كانت حالة الاستنفار للأسرة تلزمهم التنازل عن المطبخ المنزلي وعن الترفيه وعن أي مطالبات.

فترة المراهقة كانت من الفترات الصعبة على الجميع خصوصا مع تزايد انشغالات موسى الوظيفية.. ولكن اسلوب الانضباط الذي رسمه لاسرته وتحميلهم للمسؤوليات ساعدهم في تحقيق التوازن

لسلوحياتهم.. كان الأبناء مطمئنين أن والدهم مستمع جيد ومتفهم لهم وداعم لكثير من أمورهم مما ساعدهم على تخطي المرحلة بأمان.

...

وافق موسى على زواج ابنته غادة بعد تخرجها في الجامعة ولكنه اشترط عدم عقد القران الا في اجازة الكريسمس ليشاركهم ابنه حمد الذي يدرس الطب في بريطانيا وخالد المتخصص في هندسة الطيران الفرح.. شارك الأهل موسى فرحته بخطوبة ابنته وقامت العمات والخالات بتجهيزها.. في حفل الزفاف والذي أقامته أم المعرس في الأوتيل كان موسى يحوم حول نفسه لم يستطع مغادرة الأوتيل دخل على العروس أكثر من مرة خلال تجهيزها.. وأنشاء طريقها للقاعة كان يقوم بنفسه بتعديل الطرحة و طرف الفستان الأبيض ولولا أن شقيقاته ذكرنه بان في القاعة نساء لدخل لرفة العروس.. وعند زفة المعرس لم تر عين موسى أحدا في القاعة.. كانت عيناه تتكحلان بصغيرته على الكوشة وهي تتلأل بثوبها الأبيض.

...

بعد ستة أشهر من الزواج بشرت غادة والدها بخبر حملها.. أعاد موسى النظر في الكثير من حساباته.. فتقدم بطلب قرض لترميم البيت وأضاف اليه بعض مدخراته.. وقام بتجديد كامل للبيت.. أعد جناحا لابنته في الدور الأرضي كما قام بتوسعة غرفة الاستقبال وبناء شقتين مع تصميم الديكورات وفرش المنزل بأثاث جديد ومتناسق.. أرادها مناسبة سعيدة لابنته وللجميع.

عندما أبلغ موسى بان ابنته في المستشفى للولادة تسمر في مكانه من شدة الخوف.. تلقت حوله، للأسف لا يوجد من يستند عليه فابنائه الكبار في الخارج للدراسة ومشاري مشغول فهو الآن مذيع في إذاعة خاصة.. توجه لبيت أم فاضل طلبا للمساعدة فهو عاجز حتى عن قيادة سيارته.. تفهم جاره بوافض الموقف فأخذه مع أم فاضل للمستشفى.. لم تفارق أم فاضل غادة كانت تقرأ عليها القرآن والأدعية حتى من الله عليها بالسلامة وورقت بمولودها.

وزع موسى حلو قديم الحفيد الأول على الوزارة بأكملها كما أخذ اجازة ليتفرغ لنفاس ابنته.. تسابقت الخالات والعمات للمشاركة في نفاس غادة وإعداد الحسو والقبوط وغيرها والاهتمام بالصغير.

...

تخرج الأبناء وحملوا شهادات متميزة.. تزوج حمد واستقر في شقة خارج بيت والده أما خالد ومشاري فبقيا في البيت الكبير.. تزوجت نور وتزايد عدد الأحفاد.. وجد موسى أنه نجح في مشواره الطويل وأن الوقت قد أصبح مناسباً للزواج مرة أخرى، لقد حان الوقت ليستعيد الكثير من المشاعر التي أهملها.. فزواجه لن يقلل من قدر محبته لأم أبنائه وأبنائه وأحفاده.. كان ينظر بوعي لما حوله ان استقرار أبنائه هو أساس سعادته.. وهو الآن يستحق أن يعيش بسعادة.